دور إمارة إلورن النيجيرية في استثمار اللغة العربية

بقلمي

د. عثمان عبد السلام محمد الثقافى

و

د. خليل الله محمد عثمان بودوفو

Dept. of Arabic, University of Ilorin
khalilulahgbodofu@yahoo.com

المقدمة:

إن اللغة العربية تنزل أينما نزلت العرب وتدخل حيثما دخل الإسلام والمسلمون. وذلك أن العرب والمسلمين هما وسيطان أساسيان من وسائط انتشار اللغة العربية وآدابها. وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا. وبناءا على ذلك فإن اللغة العربية قد تطرقت إلى بلاد السودان أيام ممالك غانا ومالى وسنغى وكانم برنو والهوسا الأولى عن طريق الغزاة الفاتحين والتجارالوافدين ثم انتشرت بانتشار الإسلام على أيدي الدعاة المتجولين والصوفيين الروحانيين. وفي الحقيقة إن نيجيريا كانت في قديم عصرها مزارا لوفود العرب حتى استوطن برنو بعضهم ممن يسمون اليوم عربَ شُوَا بجانب بحيرة تشاد، ومنهم الشيخ محمد المغيلى التلمساني الذي مكث في كنو وكشنة للتدريس وكتب للسلاطين الأحكام السلطانية قبل عودته إلى وطنه. وفي القرون الوسطى امتدت حركة الدعاة الإسلاميين إلى بلاد يوربا، واستقر بعضهم في مدينة إلورن، وبذلك انتشرت اللغة العربية والدراسات الإسلامية فيها. وهذه المقالة تلقى بغض الأضواء على دور إمارة إلورن في الاستثمار في اللغة العربية عبر التاريخ.

نشأة إمارة إلورن:

تقع إمارة إلورن في جنوب نهر النيجر الواقع في المنطقة الوسطى بين شمال نيجيريا وجنوبها، أنشأ هذه الإمارة الشيخ عالم بن جنتا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وكان هذا الشيخ من أعلام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في أيامه، تلمذ لديه عدد كبير من علماء الإمارة، ونشر الإسلام بالسيف وبدعوته اللسانية، وكانت جيوشه مكونة من أتباعه ومريديه وتلامذته، وبعد وفاته بايعوا كبير أولاده عبد السلام أمير المسلمين للإمارة، وبعده بايعوا شئث بن عالم أميرا، وبعده بايعوا زبيرا، ثم عليا، ثم عبد السلام الثاني المعروف بِـ"مَامَا"، ثم سليمان، ثم شعيب بَاوَا، ثم عبد القادر، ثم ذا القرنين، ثم علي الثاني، ثم إبراهيم وهو الأمير الحالي للإمارة.

تشمل هذه الإمارة معظم بلاد يوربا، ولكن بدخول الاستعمار البريطاني إلى نيجيريا، ضعفت شوكتها السياسية، وهي اليوم تشتمل على خمس محليات حكومية، وهي محلية إلورن الغربية، ومحلية إلورن الجنوبية، ومحلية إلورن الشرقية، وأَسَا، ومَوْرَوْ. تعتبر إمارة إلورن من أكبر الإمارات الإسلامية القديمة في نيجيريا وفي غرب إفريقيا، يبلغ عدد المسلمين فيها 89% نسمة، وكانت اللغة العربية لدى أهاليها لغة الثقافة والحضارة والدين.

الاستثمار باللغة العربية في إمارة إلورن:

1: الإستثمار بالمدارس القرآنية:

لعلماء إلورن اهتمام بالغ بالقرآن الكريم، ولهذا جعلوا بيوتهم ودهاليزهم مكانا يرتاده الصبيان والغلمان، سلك هؤلاء الإلورنيون في ذلك مسلك علماء المغاربة الذين وصفهم ابن خلدون بقوله:

> إن المسلمين في المغرب الغربي والأمصار التابعة له، إلى الجنوب يقتصرون على تعليم أبنائهم القرآن قراءة وكتابة فقط، ولا يضيفون إلى ذلك معرفة الحديث والفقه وغيرها، إلى أن يكمل الولد أو البنت قراءته مع حفظه جميعا أو حفظ بعض السور[1].

هذا هو نفس المنهج الذي ينهجه أهل إمارة إلورن في تعليم الأولاد القرآن الكريم، وكانت المدرسة القرآنية عندهم تعرف ب"مدرسة اللوح" "Ile Kewu-Wala"، لأن تلاميذ هذه المدرسة يستعملون اللوح الخشبي، وللولد أو البنت حق الالتحاق بمدرسة اللوح عندما يبلغ خمس أو ست سنوات من عمره، فالدراسة تبدأ في هذه المدرسة من يوم السبت عادة إلى يوم الأربعاء، والتلاميذ يأتون إلى دهليز معلميهم للتعليم ثلاث مرات يوميا ما عدا يومي الخميس والجمعة، فالفترة الأولى: تبدأ من الساعة السابعة إلى العاشرة، والثانية: بعد صلاة الظهر من الساعة الثانية إلى السادسة، والثالثة: بعد صلاة العشاء إلى ما بين الساعة العاشرة ليلا، إلا أن هذه الفترة الليلية يرتادها أبناء المعلمين ورباءب الشيوخ، فطريقة التعليم في هذه المدارس طريقة بدائية، وهي أن يكتب المعلم للولد الحروف الهجائية أولا غير مشكولة على اللوح لمعرفة صورها، ثم يكتبها له مشكولة، ثم يكتب له سورة الفاتحة غير مشكولة أيضا ليتعلم النطق بحروفها متصلة، ثم المعوذتين ثم الإخلاص فسورة اللهب، فسورة النصر، وهكذا حتى يصل التلميذ إلى سورة الأعلى، ثم يعود إلى سورة الفاتحة ليتعلم نفس هذه السورة وهي مشكولة، ثم يواصل قراءة السور من الحفظ حتى يصل إلى سورة الأعلى، وهنا تنتهى مطالبه بالحفظ غالبا، فيواصل قرأته للسور، وهي مكتوبة على اللوح إلى سورة النبأ، وهو الحزب الثاني، وهكذا حتى يختم قراءة القرآن الكريم، وقد يتعلم التلميذ الكتابة أثناء ذلك فيريح معلمه من عبء الكتابة، فهذه الطريقة تأخذ للولد أربع سنوات أو أكثر قبل أن يختم القرآن كله[2]. وفي الحقيقة إن هذا هو الأسلوب السائد المنتشر في إمارة إلورن قبل ايجاد المدارس النظامية، والطريقة المتبعة في التدريس بهذه المدرسة هي التي صورها عبد الحميد شعيب أغاكا حيث قال:

يجلس التلاميذ حول المعلم بعيدين عنه قدر ما يكونون في متناول سوطه الطويل، يرتلون القرآن الكريم، وبأيديهم ألواحهم الواسعة التي توضع غالبا على الفخذين، يقرأ المعلم على تلميذه أو على فرقة منهم الآيات التي يريد أن يعلمهم إياها، وهم يقرأون بعده بالمتابعة والتكرار، يكرر المعلم الآية مرارا حتى يقتنع أنهم أجادوا قراءة الآيات بالنطق الصحيح، ثم يتركه المعلم يكرر الآيات الأخرى على اللوح الخشبي بنوع معين من أوراق أشجار معينة[3].

ولهذا يتضح لنا أن الغرض الأساسي في هذا التعليم هو إجادة قراءة اقرآن الكريم، وفي هذه المرحلة لا يهتم المعلمون بتدريب تلاميذهم على الحفظ ولافهم معاني القرآن، ولكن بعض الآباء وأولياء الأولاد يقومون بإرسال أبنائهم إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

وإذا انتهى الولد أو البنت من هذا تعليم قراءة القرآن الكريم، يتخذ سبيله فيما أحب إليه، إما المواصلة في التعليم أو التجارية أو غيرهما، ولكن الأبناء الذين أرسلهم آباؤهم إلى مدارس تحفيظ القرآن، يتعلمون فيها أحكام التجويد أمثال المد والادغام والاخفاء والاظهار والوصل والوقف ومخارج الحروف، وفي مدارس تحفيظ الفرآن الكريم يعقد الامتحانات للطالب، وفي هذا الامتحان يذكر الأستاذ للطالب أول آية أو أخرها. أو نصفها ثم يطالبه بأن يواصل القراءة ويستمر الطالب في هذا النوع من الامتحان أياما حتى يكمل القرآن، وإذا نجح الطالب في هذا الامتحان يطلق عليه اسم "صاحب الستين" أو "الحافظ"، ومعنى ذلك أنه قد حفظ القرآن الكريم، وعندنا أسماء بعض علماء هذه الامارة الذين حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب، منهم الشيخ بن محمود بن الأمير شئت الذي قال عنه أخوه الأصغر أحمد يَنْمَا:

ألا فاشكروا نعماء ربي إلهنا ** لوالدنا محمود أهل الدراية
لأن ابنه قبلي محمد اسمه ** حفيظ كتاب الله بين الجماعة
يجول به جولان بحرى في اللجج ** ويخرج من فيه بغير اللحونة
كفى ذا له إذ ليس فينا نظيره ** بعلم القرآن حاذق فارع قولتي[4].

ومنهم الشيخ محمد بوصيري بن بدر الدين الذي رثاه أحمد يَنْمَا وقال:

له لغة نحو عروض وفقهنا **كذلك تصريف بديع معاننا
كذلك علم تجويد وتوحيد منطق ** حساب وتفسير وخط لرملنا[5].

ومن هؤلاء: الشيخ محمد المختار ابن أبي بكر إساليكوتو، والشيخ محمد القاسم بودوفو، والشيخ محمد الأمين بَابَاتَا، والشيخ سنبو بن يحي بن أحمد بن يوسف وآخرون.

وأما المدارس القرآنية بنوعيها في إمارة إلورن فقد اثرت كثيرا في الاستثمار المادي والمعنوي، ومن ذلك ما نلخصه في النقاط الآتية:

أ- اخترع علماء المدارس القرآنية بإمارة إلورن مأدبات مختلفة لمن وصل إلى سورة من السور القرآنية، ويسمى هذه المأدبات بالوليمة، ويعتبر يوم الوليمة من أكبر أيام التلميذ فرحا وسرورا، ومن أهم الولائم: الوليمة التي تقام عند ما وصل التلميذ إلى سورة الفيل حيث يطبخ له أسرته فولا، ويتصدقون به لزملائه، وإذا وصل إلى سورة الأعلى يذبحون له ديكا أو دجاجة ويتصدقون به للزملاء والإخوان، وإذا وصل إلى سورة يس يتصدقون بالشاة، وأما التلميذ الذي وصل إلى سورة البراءة فإن أسرته يذبحون له كبشا كبيرا، ويوزعون لحمه على المعلمين والأقارب، وإذا أتم التلميذ قراءة القرآن وأجاد قراءته، فمعلمه هو الذي يختار للأسرة ما يتصدقون به، وأما أكبر الولائم شأنا عند أهل هذه الإمارة، فهي وليمة الزواج والزفاف التي يأتي إليها كبير أئمة البلاد في يوم الأربعاء أو أكبر الأئمة الراتب في حارة صاحب الوليمة، يقرأ الإمام على صاحب الوليمة سورة الفاتحة، وبداية سورة البقرة إلى قوله تعالى: "أولئك هم المفلحون"، ويتلقاها صاحب الوليمة أو يرد القراءة بكل أدب واحترام، فلا تسمع من الناس إلا همسا، وإذا أجاد القراءة أمام الجمهور يحمد الله، وإلا فالفضيحة عليه وعلى معلمه وأسرته، فالعياذ بالله، والذي فاز في الامتحان يذبح له البقرة، ويجمعون له أنواعا من الهدايا، ويغدقون عليه أموالا، ويغنون له بالفرح والسرور، ولأهمية هذه الوليمة كان أهل هذه الإمارة يعتبرونه عارا كبيرا أن يتزوج الرجل أو الفتاة بدون هذه الوليمة الكبرى من أحدهما[6].

ب- يعتبر معلم المدرسة القرآنية مسئولا عن أحوال التلميذ لأنه بيده تهذيب أخلاقه وطبائعه، فالتلاميذ في هذه المدارس يكنون احتراما لمعلميهم أكثر مما يكنون لآبائهم ولأساتذتهم في المدارس الغربية الافرنجية، لأنه قد استقر في أذهانهم أن معلمي القرآن الكريم هم آباؤهم الروحانيون وهم الذي يصلونهم إلى السعادة الأبدية، ولهذا لا يتقدم التلاميذ أمام معلميهم في المشي، بل يمشون وراءهم، ولا يجلسون على كرسي ومعلموهم جلسوا على أمثاله، بل يجلسون على حصير الأرض، ولا يرفعون أصواتهم فوق أصوات معلميهم.

2: أثر العلماء في الاستثمار العربي:

إن من العلماء الأولين الذين استثمروا في اللغة العربية حتى انتشرت على أيديهم فى أرجاء إلورن وما حولها لعلماء ربوة السنة ، منهم الشيخ سنسى والشيخ محمد ينبو والشيخ سنوسى جد الإمام متاشى والشيخ محمد الثانى جد بشر أدنبا وغيرهم. ومنهم كذلك العلماء الفلانيون الذين نزل بِهم الشيخ عالم منهم الشيخ بيانى، والشيخ أبوبكر الفلانى المالوى والشيخ محمد إساليكوتو الفلانى، والشيخ مالك الفلانى وأولوفادى رئيس أصحاب البقر والشيخ أحمد باركى وراء ألوكو، ومنهم أغاكا، ثم وفد إليهم الشيخ صالح المعروف بالشيخ عالم. فهولاء الشيوخ هم الذين حملوا الإسلام واللغة العربية ونشروها جنبا لجنب فى أنحاء بلاد يوربا على وجه عام،

كانت لهؤلاء العلماء مجالس الوعظ والإرشاد، حيث يلقّنون العوام والخواص الكلمات الإسلامية باللغة العربية ثم يفسرونها باللهجات المحلية.

ثم انتشرت اللغة العربية وآدابها ومبادئ الإسلام وقوانينه بتأسيس المساجد فى كل قرية نزلوا بها للمكث وإنشاء المدارس القرآنية لتعليم الصغار والكبار ما يجب عليهم أو ما يباح لهم من شريعة الإسلام وأحكامه حتى تخرج على أيديهم من أبناء هذا الوطن عدد كبير من المثقفين باللغة العربية والعلوم الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأدوار التى لعبها هؤلاء العلماء الأولون تعتبر تمهيدا لما يقوم به من وليهم من طبقات علماء إلورن فى الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة العربية فى داخل إلورن خصوصا وفى سائر بلاد يوربا وغيرها عموما. ومن حركة الاستثمار في اللغة العربية التي أدّت إلى انتشار الإسلام واللغة العربية وآدابها انتشارا عجيبا فى بلاد يوربا وما جاورها، الحروب الدفاعية التى قام بها الأمير عبد السلام بن الشيخ عالم (1813- 1842م).

بدأت هذه الحروب بسبب الاختلاف الكبير الذى حصل بينه وبين أَفَنْجَا، الذى دعا أباه الشيخ عالم إلى إلورن. فأفنجا كان يريد أن يكون بيده زمام الأمر بعد وفاة الشيخ عالم ولم تسمح له الجماعة بذلك بل أمّروا عليه وعلى أهل البلد الأمير عبد السلام فاشتد الاختلاف بينهما فهجم عليه الأمير بجيشه وقتلوه وحرقوا بيوته بعد قتال عنيف.

ثم أخذ الأمير يغزو البلاد المجاورة لمدينة إلورن فهجم بجيوشه على بلاد "إِبَوْمِنَا" وغزا إِكْرُون، وهجم على عاصمة ممالك يوربا المعروفة باسم أويولى (**Old Oyo**) حتى تخربت وتفرقت.

ولما توفى الأمير عبد السلام سنة (1843م) سلك مسلكه أمراء إلورن الذين جاؤوا بعده كالأمير شئت والأمير زبير والأمير علي الذى انقادت له مدينة أَوْفَا وماجاورها فى عهده ثم توقفت هذه الحروب فى أيام الأمير مَامَا المشهور (1891م-1896م) لشدة ميله إلى الصلح بين المسلمين والكفار. وقد انتشرت اللغة العربية والدراسات الإسلامية كثيرا أيام هذه الحروب الدينية.

ومنها الحركة العلمية والأدبية التى قام بها علماء إلورن مما يشار إليه بالبنان هذا اليوم، الحركة التى قام بها الطبقة الثانية ومن وليهم من علماء إلورن بعد الشيوخ الأولين . ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ بتورى الأكدزى، الذى نزل بإلورن فى عهد الأمير الأول عبد السلام بن الشيخ عالم والشيخ أبوبكر بوبى المتوفى سنة 1858م والشيخ محمد التاكتى النوفاوى. الذى نزل بإلورن فى عهد الأمير شئت (1842-1860م) والشيخ أبوبكر إساليكوتو المتوفى سمة 1913م، والشيخ إبراهيم بَابَا تراى المتوفى 1818م والشيخ محمد بن أحمد بيعورى الفلانى المتوفى سنة 1913م، والشيخ سعد كوكيؤ كوبيرى، أى من لم يقرأ ولم يسأل فهو ضال) الذى دخل فى الإسلام على يده حوالى نصف مليون نسمة بواعظه المشهور شرقا وغربا حتى توفى سنة 1921م والشيخ أحمد بن أبى بكر إِكَوْكَوْرَوْ الفلانى وراء ألوكو، وكان مولده ووفاته (1870م-1936م) والشيخ جامع اللبيب تاج الأدب (1885م- 1922م). وفى الحقيقة لعب هؤلاء الشيوخ دورًا كبيرًا فى نشر اللغة العربية وآدابها خلال قيامهم بنشر الإسلام ودراساته فى مدينة إلورن حتى اشتهرت بمدينة العلم والدين الإسلامى ثم بلغت هذه اللغة والعلوم الإسلامية أوج مجدها على أيدى من ورثهم من العلماء المعاصرين وعلى

رأسهم الشيخ محمد كمال الدين الأدبي مؤسس جماعة أنصار الإسلام في نيجيريا والمدير العام لجميع مدراسها (1905-2005م) والشيخ آدم عبد الله الإلوري مدير مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي لاغوس (1917-1992م) صاحب المؤلفات العديدة والخطب المثيرة والقصائد البالغة وعلى أيدي الجمعيات الإسلامية ومدارسها العربية المتواجدة في إلورن وضواحيها. وعلى أيدي المدارس الحكومية بولاية كوارا وجامعة إلورن وغيرها من الجامعات التي يتخرج فيها الطلاب بالدرجات العلمية على اختلاف أنواعها في كل سنة[7].

3: استثمار التداوي بالقرآن الكريم والعقاقير:

ج- يمكن القول أن علماء إمارة إلورن ينقسمون إلى طبقات مختلفة، منهم الدعاة ومهم المدرسون، ومنهم أصحاب الطرق الصوفية، ومنهم أصحاب الطب الروحاني والجسماني، وعلى هذا الأخير نريد التركيز في هذا الصدد.

وأما علماء الطب الروحاني والطب الجسماني فهم العلماء الذين لجاؤا إلى استعمال بعض آيات القرآن لقمع طغيان السحرة والكهنة، فعارضوا السحر الكهانة فنجحوا في ذلك، فرجع إليهم الملوك واستعانوا بهم أكثر مما استعانوا بغيرهم[8]. تعلم عدد من هؤلاء العلماء الطب من الكتب العربية الإسلامية أمثال: كتاب "الطب النبوي"، وكتاب "الحكمة" للإمام السيوطي، وكتاب "منبع الحكم" وغير ذلك. وتدربوا على علم التنجم وخط الرمل، والأوفاق، وكانت للغة العربية أثر كبير في استثمار هذه أعمالهم الطبية من نواحي مختلفة منها:

1- بأيدي هؤلاء العلماء آيات قرآنية وطلاسم وعقاقير مكتوبة بلغاتهم المحلية، ولكن بالحروف العربية.

2- إن هؤلاء العلماء يؤمنون أن أعمالهم كانت إسلامية، وهي بديلة لأعمال الكهنة والسحرة، لأنه ليس من الحكمة أن نقول للمدعوين إلى الإسلام: لا تعتقدوا بتأثير السحر، فإنه باطل، دون أن نأتي ببديل من الحق الذي يزهق الباطل، والله يقول: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها". البقرة أية: 106.

3- يتبوأ هؤلاء العلماء مكانا عاليا في قلوب السلاطين وأعيان البلاد، لاستعمالهم هذا الطب الروحاني أو الجسماني في توطيد دعائم السلطنة والملك، وفي التغلب على الأعداء في الحروب والمنافسات، أو إزالة الجنون والبرص، وشفاء المرضى مما يعانونه.

4- على أيدي هؤلاء العلماء عرف غير الدارسين للغة العربية، أن في هذه اللغة القدسية العظمى، وأنها تنفع لقضاء المآرب والحاجات، لأن علماء الطب الروحاني أو الجسماني يستخدمون بعض طلاسم عربية، وبعض آيات قرآنية في قضاء حوائجهم شأنهم في هذا شأن الصحابي الجليل، الذي قرأ سورة الفاتحة على الملدوغ فبرئ من السم. وإليك طلاسم كتبت بالحروف العربية:

رأما النموذج الآتى فهو عبارة عن نوع من عقاقير محلية، ولكنه كتب بالحروف العربية

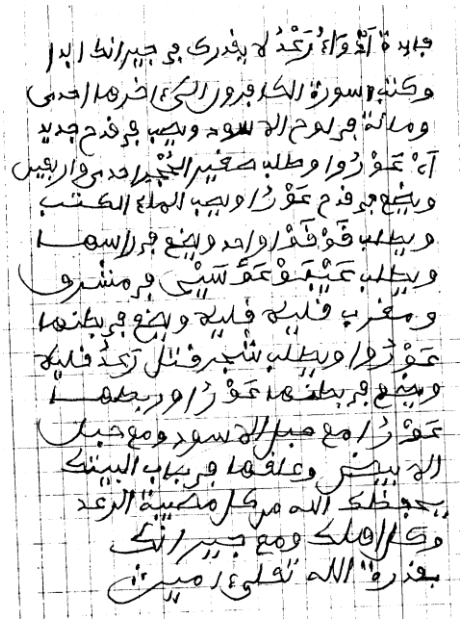

ففي هذين النموذحين نجد أن الكاتب يمتزج لغته المحلية بالعربية

وقد كتبت أعداد كبيرة من الأدعية والأذكار والصلوات باللغة العربية كدعاء يامحى الرفات ودلائل الخيرات ودعاء يا دافع وغير ذلك من شتى الدعوات. فهذه الدعوات يتقرب إلى الله عزّ وجلّ كما يتضرع بها إليه خوفا من نزول المكروه وطلبا لتحصيل المنافع. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن هذه الأدعية يَتَوَجَّهُ بها إلى الله المسلمون باللغة العربية التي كُتِبَتْ بها حتى تمكن بعضهم من تلاوتها بدون نظر في الورقات التي دونت فيها. وبهذه اللغة أيضا ألفت كثير من أمهات كتب الفوائد (الطبّ والأسرار) التي يمكن أن يجدها من يطلبها عند أهلها.وخلاصة القول أن اللغة العربية هي اللغة التي ضبطت بها مجريات الأمور في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأدبية بل هي لغة الدين والعمران على الاطلاق قبل ظهور الاستعمار الغربي في هذه البلاد.

4: استثمار اللغة العربية وآدابها في إلورن من العصر الاستعمارى إلى الآن

لما استولى المستعمرون البريطانيون على هذه البلاد ألغوا الشريعة وأقاموا مقامها القانون الوضعى في قيادة البلاد والشئون العامة وجعلوا اللغة الإنجليزية رسمية على حساب اللغة العربية واللغات المحلية ونشروا ثقافتهم العلمانية

في طول البلاد وعرضها وقرّبوا أنصارهم وولّوهم المناصب العالية حتى رجحت كفّتهم في المجتمع سياسيا واقتصاديا وبالتالى لم يتسنّ للأمراء أن يصدروا اللوائح والأنظمة والمنشورات الإدارية إلى المسئولين في مختلف إماراتهم وبلدانهم ومقراتهم لتنظيم أعمالهم وشئون بلادهم كما كانوا يفعلون من قبل باللغة العربية.

ومع ذلك كان ولا يزال العلماء التقليديون- وقد سماهم الغربيون بالأصوليين الرجعيين متمسّكين بمذهبهم التقليدى ومنهجهم الدراسي في مُدارسة اللغة العربية وتدريسها في شتى كتاتيبهم ومعاهدهم الدينية وحلقاتهم العلمية لا تأخذهم في ذلك لومة لائم كما هو في صكتو وكنو وميدوغرى وإلورن وسائر المدن الإسلامية في نيجيريا حتى ظهرت المدارس العربية الإسلامية الحديثة كالزمرة الأدبية للشيخ محمد جامع اللبيب تاج الأدب التي تفرع منها معهد إلورن الديني الأزهرى ودار العلوم لجبهة العلماء بإلورن ومركز التعليم العربي الإسلامي للشيخ أدم عبد الله الإلوري في جنوب نيجيريا وغيرهما، وبعضها أنشأتها الحكومة كمدرسة الشريعة بكنو وصكتو ثم تطورت الدراسات العربية والإسلامية في المدارس الثانوية الحكومية وكليات التربية وفي جامعات نيجيريا كما تطورت بحركة البعثات العلمية التي ترسلها الحكومة إلى جامعات الدول العربية المختلفة.

ونتيجة لهذه المحاولات المتوالية والمستمرّة قامت وتقوم اللغة العربية وآدابها بوظائفها المختلفة في المدارس والجامعات وفي المحاكم الشرعية وفي مختلف مدن الحجّاج وفي سفارات الدول الإسلامية في نيجيريا وخارجها وكذلك تلعب دورها في مراكز الإذاعة والتلفيزيون وفي بعض المستشفيات والمطابع العربية النيجيرية فكتاتيبنا (المدارس القرآنية) اليوم تعدّ القرّاء الماهرين بعضهم يمثلون أقاليمهم في المسابقات القرآنية على المستوى المحلى والآخرون يمثّلون نيجيريا في المسابقات المخططة على المستوى الدولى.

ومن أبرز الأدوار التي تلعبها مدارسنا الإعدادية والثانوية والمعاهد العليا والجامعات إعداد الدعاة الواعظين، تراهم خطباء عباقرة في أيام الجمع والأعياد كما تراهم مناقشين مرشدين في مختلف الحفلات والندوات الإسلامية والمؤتمرات العلمية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار العربية الحكيمة. وقد صار بعض هؤلاء العلماء أئمة للمساجد والجوامع وهم بذلك جمعوا بين الإدارة والعبادة في آن واحد.

هذا وإن الجامعات وغيرها من المؤسسات العليا قد أنجبت عددا كبيرا من المختصصين في مختلف الميادين كمحامين، وأطباء، ومدّرسين، محاضرين، وصحافيين، وزراعيين، وجنود، ودعاة إسلاميين كما نراهم اليوم في محاكمنا الشرعية وفي كليات الآداب من جامعاتنا وفي مراكز إذاعاتنا وتلفيزيوناتنا وفي سفاراتنا بالوطن العربي وفي مختلف مدارسنا الابتدائية والثانوية والعالية. وكل هذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الراقية لها في المجتمع النيجيري شأن كبير. وخلاصة القول أن للغة العربية ثمرات عديدة وفوائد جمة ، منها :

العربية لغة التأليف:

استعمل العلماء والمتعلمون السودانيون اللغة العربية كثيرا بعد تضلعهم من الدراسات الإسلامية والعلوم العربية في تأليف الكتب وإنشاء المقالات والرسائل للتواصل بين ظهرانهم وبين غيرهم في ميادين الدين والعمران.وقد توجد أعداد غير قليلة من تلك المراسلات في مكتبات الجامعات والمعاهد العلمية كاللواتى تُحفَظُ في جامعات إبادن وصكتو وأحمد بلّو زاريا، وميدوغرى، وإلورن، وبايرو، كنو وكالتى يمكن الاطلاح عليها في مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي، لاغوس وغير ذلك.

اللغة العربية هي لغة التخاطب والتدريس والمحاضرة:

ومما لا يقبل الجدال في تاريخ هذه البلاد أن يبجيريا كانت في قديم عصرها مزارا لوفود العرب حتى استوطن بونو بعضهم ممن يسمون اليوم عربَ شُوَا بجانب بحيرة تشاد، ومنهم الشيخ محمد المغيلى التلمساني الذي مكث في كنو وكشنة للتدريس. وليس لهؤلاء العرب لغة للتخاطب مع سكان نيجيريا إلا لغتهم وبهذه اللغة كان طلابهم يأخذون عنهم الدروس والأفكار ويتبادلون بها الآراء وغير ذلك. وخلاصة المقال هنا أن هذه اللغة هي الوسيلة الوحيدة في تحضير الدروس في الألواح والأوراق وإلقائها على التلاميذ في الكتاتيب (المدارس القرآنية) وعلى الطلاب في مختلف معاهدهم العلمية وبها كذلك يحصل تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأشعار وغيرها.

اللغة العربية هي لغة الوعظ والإرشاد والدعوة الإسلامية:

ومن الأدوار التي قامت بها اللغة العربية أنها هي اللغة الوحيدة التي يلقى بها الوعظ والإرشاد في المجالس الوعظية وهي لغة الدعوة الإسلامية منذ فجر تاريخها إلى الآن وإن كانت اللغة الأخرى تساعدها على سبيل الترجمة والتبيين، فالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية والأشعار الوعظية كلها ضُبطت بالعربية وبها تُقدَّمُ أولا الخطبُ المنبرية وغيرها في الجمع والأعياد وفي مجتمعات عقد النكاح وتسمية المولود إلى الناس قبل الشرح والتفسير والترجمة. ودور العربية في هذا المجال دور أساسي لا ينكره إلا المكابرون.

اللغة العربية لغة القانون في المحاكم الشرعية:

ضبطت القوانين الإسلامية المستنبطة من القرآن والسنة والاجماع والقياس وغير ذلك من أصول الفقه باللغة العربية من أيام مملكة برنو وولايات هوسا إلى نهاية دولة صكتو وإمارة إلورن الإسلامية قبل الاستعمار البريطاني في مختلف محاكمها الشرعية ومن ثم لم يتسنّ لمن لم يلمّ بهذه اللغة أن يتولى منصب القضاء لأن هذه اللغة هي الوسيلة الفريدة لتفّهم الأحكام الشرعية فصار ضربة لازب أن يتعلمها كل من أراد أن يتصدى للقضاء في هذه المحاكم.

والجدير بالملاحظة بعد ذلك أن اللغة العربية مع كل ما ذكرنا لم تبلغ بعد أوج مجدها في عصرنا الراهن في إلورن وسائر مدن نيجيريا كما ينبغي لأنها كانت ولا تزال منذ مجيء الاستعمار البريطاني إلى هذه البلاد بالمرتبة الثالثة

إذ هي التي وَليت اللغات المحليَّة بعد اللغة الإنجليزية المفروضة على الناس قسرا كلغة رسمية وبعد اللغة الفرنسية. والسبب الوحيد وراء هذا التأخر راجع إلى مؤامرات اليهود والنصارى وعملاء المستعمرين الجدد ضد الإسلام والمسلمين ولغتهم العربية في هذه البلاد.

خاتمة

إذا أخذنا في الاعتبار المراحل التي مرَّت وتَمُرُّبها اللغة العربية وآدابها عبر العصور في هذا الوطن ندرك بكل جلاء أنها قد لعبت دورا فعالا في كل مرحلة. وندرك كذلك أنها ليست لغة جامدة غير قابلة للتجديد، بل هي لغة متطورة لها إمكانيات تامة للتكيف مع البيئة الجديدة. لها من المفردات ما يُغَطِّى المصطلحات العلمية والأدبية والثقافية، ومن العبارات ما يشمُلُ الحقيقة والمجازَ والعُرف، ومن الأساليب ما يلائم الأدب والعلم والفلسفة، ومن المناهج ما يميّزُ بين النظرية والتطبيق.

وكذلك ندرك أن اللغة العربية أداةُ التخاطُب والتفاهُم وجهازُ التدريس والمحاضرة ووسيلةٌ للتربية والتشريع بل هي مفتاحُ العلُوم والآداب. فهي بهذه الاعتبارات ذات الأهمية الكبرى.

وقبل أن أقفل ملف هذا الموضوع فإني أريد أن أقدم بعض التوصيات والاقتراحات التي إذا عملنا على تحقيقها فإنها إن شاء الله ستساعد اللغة العربية وآدابها على زيادة حركتها:

1 _ يجب علي رؤساء المسلمين إعادة التخطيط للعلاقات الثقافية والحضارية للتصدّي للعراقيل التي تشلّ حركة التقدم في ميدان التواصل الفعّال.

2- إن على الجهات المعنية بالعربية باختلاف أنماطها أن تبذل جهدا في إعادة تخطيط مناهج الدراسات العربية بتنميتها وتحسين طرق تدريسها وإمدادها بالوسائل التعليمية الحديثة والمدرّسين الأكفاء لإعداد الشباب الماهرين للمستقبل.

3- إن على رجال الإسلام واللغة العربية أن يساعدوا الإسلام والثقافة العربية بتمويل برامج اللغة العربية في أجهزة الإعلام لنشر الأخبار (يوميا أو أسبوعيا) في الإذاعات والتلفيزيون وإنشاء الصحف اليومية باللغة العربية في نيجيريا ليساعد الإسلام و المسلمين اليوم وغدا .

4-الاهتمام ب البرامج التعليمية التالية في المعاهد العالية والجامعات

الجمع بين اللغة العربية وعلوم الحاسوب الآلي

الجمع بين الدراسات العربية والعلاقات العالمية

الجمع بين اللغة العربية والاتصال الجماهيري (الإعلام)

وكل هذا لا يزيد الإسلام إلا حركة ولا اللغة العربية وآدابها إلا نشاطا وحيوية في تكثيف التواصل الثقافي والحضاري بين الوطن العربي وسائر أقطار العالم.

وأخيرا يجب علينا نحن المسلمين أن نُوليها الأهتمام وأن نُزَوِّدها بمعدَّاتٍ لازمة ومكانةٍ تليق بها لتقدِّم رسالتها كاملة في المجتمع البشري. والله متمُّ نوره ولو كرهَ الكافرون.

المراجع

1- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، ص418.

2- عبد الحميد شعيب أغاكا: الثقافة العربية في مدينة إلورن، بحث قدم لنيل درجة الليسانيس، عام 1981م، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، ص46.

3- المرجع نفسه، ص47.

4- آدم عبد الله الإلوري: لمحات البلوري في مشاهير علماء إلورن، مكتبة الآيات ومطبعتها بالجماهير، اقاهرة(1402هـ-1982م)، ص30.

5- المرجع نفسه، ص35.

6- عبد الحميد شعيب أغاكا: المرجع السابق، ص49.

7- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي: تاريخ الأدب الإسلامي في مدينة إلورن، من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009م، ص: 23-25.

8- آدم عبد الله الإلوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، مكتبة وهبة، ط3، 1141هـ1990م،، ص121.